بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم عليه الصلوة والسلام بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف عليه الصلوة
والسلام وهو صبى عند ما هم اخوته بالقائه فى الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون الاية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم واخبار غيرهم
وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال
فى حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر
ولم اهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله تعالى منهما ثم
لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف
فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم مطبوعا على بعض هذه
الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله
تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن رضى الله عنهما وبه قال وهو الصواب مما قد اصلناه وقد روى سعد رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة

التفسير

والكذب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديثه والجرأة والجبن غرائز
يضعها الله تعالى حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم
بها ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها
فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا
الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها
بشر سواه وان جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجارى
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم
حديثه وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم
الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه
وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله
تعالى صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا
اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1